مجلة دراسات إنسانية واجتماعية (Journal of Social and Human Science Studies)
جامعة وهران02/ المجلد 12ع 01. 16/ 01/ 2023
ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

البعد الإيديولوجي في فلسفة التربية والتعليم عند د. عبد الله شريط

The ideological dimension in the philosophy of education and education for Dr. Abdullah Cheriet

خلدون يوسف* Khaldoun youcef (Khaldoun35youcef@gmail.com	فلسفة	مخبر الفلسفة والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر
حمادي سايح hammadi sayeh (sayehham@yahoo.fr)	فلسفة	مخبر الفلسفة والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر

DOI : 10.46315/1714-012-001-010

الإرسال: 2021/02/01 **القبول:** 2021/06/20 **النشر:** 2023/01/16

الملخص:

تواجه المدرسة الجزائرية اليوم رهانات متعددة خاصة على مستوى الساحة العالمية من انفجار معرفي وثورة تكنولوجية لهذا كان من الضروري على المفكر عبد الله شريط إعطاء التربية والتعليم في فلسفته بعدا إيديولوجيا، يراعي فيه الثوابت العرقية والدينية، لهذا سنقف في هذه الورقة البحثية على مفهوم الايديولوجيا عند شريط، وتصوره للثقافة التربوية، وأخيرا مشروعه التربوي ويوتوبيا القومية العربية، وهذا بهدف الوقوف على نقائص المنظومة التربوية ومحاولة بعث الأمل فيها محافظا على هويتها.

كلمات مفتاحية: التربية؛ ايديولوجيا؛ يوتوبيا؛ التعليم؛ التعريب.

Abstract:

Today, the Algerian school faces multiple stakes, especially on the global stage, from an explosion of knowledge and a technological revolution. For this it was necessary for the thinker Abdullah Cheriet to give education and teaching in his philosophy an ideological dimension, in which it takes into account ethnic and religious constants, so we will stand in this research paper on the concept of ideology at Cheriet And his perception of educational culture, and finally his educational project and the utopia of Arab nationalism, with the aim of identifying the deficiencies of the educational system and trying to inspire hope in it, preserving its identity.

Keywords : Education ; Ideologically; Utopia; teaching; Arabization.

* - الباحث المُرسل: Khaldoun35youcef@gmail.com

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

1- مقدمة:

مما لا شك فيه أن المجتمع يقوى بحركته وتطوره كما يقوى بقيمه وثقافته، لذلك كان التغير الاجتماعي ظاهرة مرتبطة بوجود المجتمعات، إذ أن هناك اجماع شبه عام على أن للتربية دورا في نهوض المجتمع لكن الاختلاف يبقى حول طبيعة الدور الذي تلعبه التربية، فهل هو قائم على ترسيخ الثقافة القائمة وحمايتها، أم هو قيادة التغير وترسيخ الأنماط الثقافية الجديدة، وهذه النقطة الأخير تفتح لنا تساؤلا آخر هو هل الثقافة الجديدة هي من صنع البيئة الاجتماعية ذاتها أم أنها ثقافة مستوردة من الخارج أجنبية عن الثقافة المحلي؟

يظل النظام التربوي من أكثر النظم المجتمعية حساسية للتغيرات الحاصلة من حوله سواء في فضائه القريب (المحلي) أو في فضائه البعيد (الكوني)، لهذا كان النظام التربوي مطالبا بالانخراط في علاقة تفاعل نشط مع المتغيرات المحيطة به، لذا يجب عليه ألا يتخلف عن حركة التغيرات العلمية والتكنولوجية والمعرفية والثقافية الكبرى من حوله فالنظام التربوي بدءا من فلسفته وتوجهاته الفكرية منتهيا إلى ما يقدم داخل الصف من بُنى معرفية وتكنولوجية وثقافية، المتغيرات فيها أكثر من الثوابت والاهتمام فيها بالمستقبل أكثر من الاهتمام بالماضي والحاضر.

لهذا كان الاهتمام الأول منصبا على التربية والتعليم، ومن هذا المنطلق دعا الدكتور الجزائري ابن بلدية مسكانة بأم البواقي أحد المفكرين المخلصين لبلدهم إلى ضرورة الاهتمام بالتربية والتعليم كوسيلة لبناء دولة جزائرية تقوم على ثوابت محلية عرقية، تحافظ على تراثها الأصيل وتملك إيديولوجية خاصة بها تسطيع من خلالها مجابهة الايديولوجيات الدخيلة كالإيديولوجيا التي تدعو إلى التغريب، متمسكة بقيم المواطنة والهوية والأخلاق، حتى تستطيع رسم طريقها في التحضر والنهضة ولما لا الحداثة، وهنا كان اهتمامه منصبا على التربية والتعليم كأحد مقومات للنهوض بالمجتمع الجزائري، لهذا سنحدد إشكالا جوهريا يكون نقطة انطلاق هذه الورقة البحثية ألا وهو :

ما هي الإيديولوجيا التي تموقع داخلها المفكر عبد الله شريط، لتوضيح معالم وغايات فلسفته في التربية والتعليم؟

هذا الإشكال يأخذنا إلى تساؤلات جزئية تمثلت في:

هل استطاع شريط أن يتحرر من الإيديولوجية الغربية أم انه ظل حبيس الفكر الغربي في بناء موقفه التربوي لتحقيق حداثة عربية؟

وهل يمكن تجسيد مشروع عبد الله شريط التربوي أم أنه سيبقى مجرد حلم على منوال أحلام الفلاسفة؟

وللإجابة المؤقتة عن هذه الإشكالية افتراضنا سيكون كالآتي:

- الإطار المفاهيمي للإيديولوجيا وذلك من خلال الوقوف على الدلالات التي تحملها تاريخيا، وصولا عند مفهومها عند الدكتور شريط.
- الثقافة التربوية من منظور الدكتور عبد الله شريط، وذلك من خلال الوقوف على الصراع الذي دار بين دعاة التعريب ودعاة التغريب والبحث في تاريخانيته.
- وأخيرا سياسة التعريب ويوتوبيا القومية العربية، وهذا بتجسيد ضرورة التعريب، مع إبراز مشروع المفكر شريط التربوي الذي أسسه على النقد وطرح الحلول لإصلاح المنظومة التربوية.

2- العرض:

1.2- مفهوم الإيديولوجية من منظور المفكر شريط:

مما لا شك فيه أن مشكلة بناء الانسان الجزائري طرحت منذ زمن قد مضى، إن لم نقل قبل الثورة التحريرية في كتاب متواضع للمفكر الجزائري مالك بن نبي، والذي أكد فيه أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كان هدفها تغيير الانسان أولا، من أجل دفعه إلى مقاومة الاستعمار بعد ذلك (شريط ع، 1981 ، ص 77) ، على خلاف ذلك فدعاة الحركة الوطنية يعتقدون أن التغير مستحيل في ظل وجود الاستعمار، هنا يوجهنا سؤالا جوهريا ألا وهو هل التغير يتأسس على تغير الانسان أم أنه هو الذي يكون قادرا على تغيير محيطه، أم أن التغير يكون بداية من المحيط ثم يأتي التغير من تلقاء نفسه ؟ هذه المشكلة إذا حاولنا طرحها على المستوى النظري في الأقطار العربية فلم تظهر بشكل واضح، باعتبارها تشكل جزءا من الفكر الإيديولوجي، كون أن المسائل النظرية لا تؤثر على الجانب العملي على مستوى تناول بعض المشكلات التي لها تأثير على واقعنا الاجتماعي هنا نتساءل كيف يتصور المفكر شريط مفهوم الايديولوجيا، وكيف يكمن تجسيدها على الواقع الاجتماعي؟

أ / مفهوم الإيديولوجية لغة وعند بعض المفكرين

كلمة الإيديولوجية ذات أصل يوناني idea: فكرة و:logos علم، أي أنها تعني علم الأفكار ويعود ابتكار لفظ إيديولوجيا إل الفرنسي " دستوت دواتراسي " (1754-1836) وقد وردت لفظ إيديولوجيا في كتابه " فكرة حول ملكة التفكير " ثم كرس استعمالها بالمعنى الذي أعطاها إياه، في كتابه الأخير " مشروع عناصر الإيديولوجيا " وتعني عنده العلم لذي يدرس الأفكار بالمعنى الواسع

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

لكلمة الأفكار، أي مجمل واقعات الوعي من حيث صفاتها وقوانينها وعلاقتها بالعلائم التي تمثلها، لا سيما أصلها "(الحاج محمد، د س، ص 299)

ويعرفها المفكر المغربي عبد الله العروي بقوله أن الإيديولوجية كلمة دخيلة على جميع اللغات الحية فهي ذات أصول فرنسية وتعني علم الأفكار وقد اعتبر العروي أن الكلمة وجدت عجز من مفكرينا العرب من حيث الترجمة بكيفية مرضية ومن بين العبارات التي ترادفها نجد منظومة فكرية، عقيدة، ذهنية ..الخ، لهذا اقترح المفكر العروي عبارة ترادف الإيديولوجية وذلك من خلال تعريبها مستعملا كلمة أدلوجة على وزن أفعولة ويتم تصريفها على حسب قواعد اللغة العربية، وتعني وفق تصوره مجموع القيم والأخلاق والأهداف التي يتم تحقيقها على مدى القريب البعيد، وقد اعتبر المفكر أن الحزب الذي لا يملك أدلوجة فهو حزب انتهازي فأدلوجة عصر من العصور هي إذن الأفق الذهني الذي كان يحد فكر انسان في ذلك العصر وكنموذج على ذلك يقترح العروي أن الماركسية تقدم لنا نظرية عن الأدلوجة ونسميها وفق ذلك أدلوجياء. (عبد الله ، 2012، ص 9-10)

ب / مفهوم الإيديولوجية عند عبد الله شريط:

عبد الله شريط يقف موقفا يعي كل ما يحول بالمشكلة الإيديولوجية، هذا الموقف يتسم بالصرامة والنقد والصراحة، إذ يعتبر فيلسوفا ملتزم وناقد يفسر الأمور والقضايا التي عايشها تفسيرا وضعيا، ويخضعها للمحكمة العقلانية، كما أنه يؤمن إيمانا قاطعا بإطلاق الحرية والعنان للعقل وبقيمة المعرفة والفكر وذلك من أجل تحرير المجتمع الجزائري، وتحقيق التقدم إن فلسفته النقدية لا تهدف إلى النقد والمعارضة من دون وجود قضية يدافع عنها أو هوية يرتكز عليها، إذن هو يحمل المضمون النضالي للقضية التي يدافع عنها.

لقد لفت المفكر شريط انتباهه سؤالا جوهريا يوضح فيه مفهوم الايديولوجيا من خلال إمكانية تبني لعقيدة ما أو إيديولوجية مجتمع ما... هل من الممكن أن نكون عقيدة أو مذهبا أو إيديولوجية لمجتمع ما، أم أن هذه الإيديولوجية مستحيلة؟ ويتساءل أيضا هل من العبث أن نصطنع لأنفسنا إيديولوجية نبني عليها تخطيط المستقبل؟ (شريط. ع، 1981، ص 25)

إن هذه التساؤلات التي كانت محور اهتمام المفكرين في العالم العربي خاصة بعد الاحتلال الاستعماري، لم تخرج عن دائرة المفكر عبد الله شريط بل حاول الإجابة هو عليها كذلك ليندمج ضمن المفكرين العرب الذين اهتموا بالنهوض المجتمع العربي، معتبرا " أن حدا أدنى من التخطيط العقائدي لابد منه لتطور المجتمعات الحديثة، سواء أكانت متطورة أو متخلفة، لكن هذه الحتمية يجب أن لا تكون عمياء، يعمم حكمها وقوانينها بسذاجة على حياة الانسان في كل عصر وفي كل مكان، كما نعممها على ظواهر الطبيعية أو حياة الحيوان. " (شريط. ع، 1981 ، ص 25)

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

يَعتبر المفكر شريط أنه من بين العوامل التي عقَّدت البعد الإيديولوجي في حياتنا التنموية منها ما هو متعلق بالازدحام السكاني في المدن الكبرى على حساب التعمير الريفي، واختلال العرض والطلب، وما هو متعارف عليه هو أن السوق العالمية تخضع لنظام العرض والطلب لكن هذا غير متوفر في البلدان النامية، باعتبار أنه هناك فائض في الاستهلاك ولذلك فمعدل العرض أقل من الطلب، وهذا بدوره يشكل عرقلة أمام النمو الاقتصادي الذي هو طموح أي دولة وهنا يكمن الخلل في التصنيع وبالتالي عدم الاهتمام بالنشاط الفلاحي والزراعي، على خلاف الدول الأوربية التي اهتمت بالجانب الزراعي وتحديثها بالوسائل الحديثة المتطورة، يقول الأستاذ شريط " الرجل المثقف الشعبي هو الذي يسخّر ثقافته في خدمة الشعب ولو صدمه " (شريط. ع،1981، ص 203)، باعتبار أن مهمة المثقف هي إيجاد الحلول للمشاكل التي يعيشها أبناء مجتمعه، باعتبار أن حقيقة الثقافة متأتية من فعاليتها في إعداد المواطن وتنشئته النشأة الاجتماعية الخلاقة، وهذا ما يعانيه الواقع العربي، حين بقت الثقافة مجرد شعارات شكلية لا تحكم واقعنا التنموي، وهذا متوقف على إيديولوجيا واضحة تحدد الأحكام وتوجه سلوكياتنا في مجال التنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

يربط المفكر شريط الإيديولوجية بواقع التخلف الذي يعيشه المجتمع الجزائري بعد الاستقلال، إذ يقف على الأمراض النفسية التي يعيشها الانسان الجزائري بالمقابل التطور الذي تعرفه المجتمعات الغربية، الأمر الذي جعله يبحث عن مخرج من مأزق قد وقع فيه قائلا " إنه من الضروري أن نشير لهذه العلاقة بين التطور والتخلف عن الحديث عن الإيديولوجيا في الجزائر خصوصا، لأن هذه العلاقة عقدة نقص من الناحية النفسية، وهي من الوجهة الفكرية والعلمية تشكل حجر الزاوية في التسيير أو الاتجاه الاشتراكي في بلادنا. بحيث أن هذا الاتجاه لا يمثل قيما أخلاقية أو فلسفية محببا لشعبنا أو لمسؤولينا، بل نتبعه فقط لأنه أقصر طريق في نظرنا للتغلب على هذه العقدة النفسية "(شريط. ع، 1981، ص 27)

ومن هنا نصل إلى فكرة أساسية مضمونها هو أن المفكر عبد الله شريط يتبنى الاتجاه الاشتراكي كإيديولوجية للمجتمع الجزائري، ليبرر موقفه بأن " تبني الاشتراكية كمذهب في حياتنا وكمدرسة لتعلم حروف الهجاء الإيديولوجية، هو أن الاشتراكية ليست غاية في ذاتها بل وسيلة فقط. " (شريط. ع.، 1981، ص 36)

2.2- الثقافة التربوية من منظور الدكتور عبد الله شريط

ما هو متعارف عليه هو أن الثقافة تتمثل في أنماط السلوك، وأسوب التفكير والتفاعل مع البيئة بناءً " على معتقدات وعادات وتقاليد ولغة للتفاهم وأدوات للإنتاج وما ينشئه مجتمع من

المجتمعات من مؤسسات "(الفنيش. أ، 1999، ص 35)، ولقد حاول المفكر شريط الاهتمام بالجوانب الثقافية وخاصة بوطنه الجزائر كاشفا من خلال ذلك جوانب ضعف ومكامن قوة هذه الثقافة، فقد كان له جهدا نقديا هام ساهم وبشكل كبير في تصويب نظرة المثقف الجزائري لهذه الثقافة، لهذا سنحاول الاهتمام في هذا العنصر بالنقاط التي نالت نصيبا وافرا من الدراسة والبحث في بعث عجلة التقدم في المجال الثقافي التربوي لهذا كشف داء ليجد الدواء وهذا ما سنخلص إليه في هذه الورقة البحثية، ولهذا ما هي أهم النقاط التي عبرت عن توجهه الإيديولوجي في إطار فلسفة التربية والتعليم ؟

أ/ تاريخانية الصراع بين دعاة التغريب ودعاة التعريب

1/ جذور الصراع

تعود جذور هذا الصراع النخبوي إلى بدايات الاستقلال، حينما تواجه أنصار التوجهين خاصة في الجامعات، لاعتبارات سياسوية في الأساس، في مقابل ذلك حاول أحد التّيارات التركيز على الهوية الجزائرية في التعليم، ورفع شعار الثورة الاشتراكية، إنه لأمر واقع ولابد منه وهو أنه على الجزائر الانفتاح على العلوم التي يتم إنتاجها باللغة الانجليزية، وهو ما يؤكد على أن المثقف العربي اليوم لابد عليه أن ينفتح على الانجليزية وذلك لأسباب علمية، ولكن ما هو متعارف عليه وما اعتاد عليه المثقف الجزائري هو أنه يعتمد على لغة وسيطة وهي الفرنسية للوصول إلى النظريات التي أنتجت بالإنجليزية، فمثلا اليوم تصلنا الترجمات لعديد من الكتب باللغة الألمانية أو الانجليزية عن بعض المفكرين كأمثال كارل ماكس أو آدم سميث وغيرهم حيث أنه أصبحت تنقل هذه الكتب إلى الفرنسية ثم تترجم إلى العربية، لكن عندما نقرأ هذه الكتب باللغة الأصلية يعطي مفهوما وعمقا آخر، لهذا لابد من التخلص من اللغة الوسيطة ويجدر هنا الاطلاع عليها باللغة الأصلية، وكذلك الأمر نفسه عندما تظهر نظريات باللغة الفرنسية.

إذا نظرنا إلى هذا الأمر من زاوية أخرى فكثير من معارضي استخدام اللغة الفرنسية يرون وسيلة للمعارضة والانتقام من فرنسا الاستعمارية، وإذا نظرنا إلى الواقع وبشكل برغماتي فإن الفرنسية لغة عالمية مثل الانجليزية، وإن كانت ليست في مستواها وتعلم لغة قوم يعني الاستفادة من كل إنتاجاتهم المعرفية والأدبية، المشكلة هي أنه عندما نعتمد على اللغة الفرنسية لوحدها فقط، على حساب اللغات العالمية الأخرى كالإنجليزية، فهي في النهاية للولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى وفرنسا ...الخ.

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

2/ الفرنسة كمظهر من مظاهر التغريب

مما لا ريب فيه فإن هذا النقاش الجاد – دعاة التغريب ودعاة التعريب - لازال ساري المفعول إلى يومنا هذا، بل تعدت جدالاته الأروقة الأكاديمية متجاوزة ذلك إلى بعض المؤسسات والفضاءات الأخرى للدولة على غرار الإعلام والصحافة، المؤسسة التربوية، المجتمع المدني وحتى بعض الأحزاب السياسية – رغم أن أطروحات هذه الأخيرة لا تتعدى عتبة الشعبوية والتسطيح لكونها متشبعة بالإيديولوجيا ومنهكة من الديماغوجية- ولكن ما يثير الاهتمام هو وصف عبد الله شريط لهذا النقاش بمختلف فتراته بأنه نقاش بين طرفين لا يفهم أحدهما الأخر أو نقاش الصم والبكم، لهذا انتقد جميع المحسوبين على هذا النقاش بمختلف تياراتهم وتوجهاتهم ونزعاتهم أكانت (تعريبية معربة) أو (تغريبة مفرنسة).

إن السياسة الثقافية والتي كان هدفها ولازال إدخال دول المغرب العربي في إطار استراتيجية الفرانكفونية التي تهدف إلى تحقيق نفوذ الثقافة الفرنسية على حساب الثقافة العربية، وهذا ما جاء على لسان الكاتب الفرنسي روجيه كانس "إن الفرانكفونية تقاوم جيدا التعريب بالمغرب العربي" (كانس. ر، 1979/12/05، ص15)، لأن الغاية من هذا هو نشر ثقافة ولغة فرنسا وهذا ما يعرف بالاستعمار الفرنسي إضافة إلى ذلك فقد ترتب عن انتشار اللغة الفرنسية في الجزائر عدة تأثيرات منها ما هو متعلق بالجانب النفسي والاجتماعي ومس هذا التأثير الشرائح الاجتماعية غير المثقفة، من خلال المزج بين اللغة العربية بالفرنسية وهذا ما يطلق عليه بالفرانكو أراب وكانت نتيجته ظهور لهجة عامية مشوهة الألفاظ كان له تأثير سلبي على اللغة العربية أفقدها مصادرها وكلماتها، والغريب في الأمر هو أن هذه الظاهرة متواجدة فقط في دول المغرب العربي وهناك سبب جوهري متعلق بالظروف التاريخية والثقافية التي عاشتها دول المغرب العربي وعلاقتها بالاستعمار الفرنسي وثقافته، وهنا تظهر علاقة الغالب بالمغلوب وفي هذا الصدد يقول العلامة ابن خلدون " إن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده "(ابن خلدون. ع، 1879، ص 147)

ولقد اعتمد الاستعمار الغربي على الطبقة المثقفة لذلك استهدف المؤسسات التعليمية من مدارس وجامعات، من أجل تكوين نخبة تابعة، ومتشبعة بالقيم الغربية تستطيع أن تكون فيما بعد واسطة لتحقيق النفوذ الغربي في المجتمعات العربية الإسلامية، واعتمد على هذه الطريقة سواءً أثناء تواجده كمستعمر أو بعد رحيله، فتغلغل الثقافة الغربية واللغة الفرنسية ما كان ليتم لولا الاعتماد على التكوين على الأسلوب الغربي والمبادئ الغربية، وهنا أصبح التكوين والتعليم

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

وسيلة من وسائل التغريب، فالوجود الاستعماري في المغرب العربي عامة والجزائر خاصة جعل هذا الأخير حقل تجارب لكل أدوات ومناهج وأهداف التغريب.

وهذا ما أشار إليه الأستاذ سعيداني علي بجامعة البليدة من خلال مقال كتبه بعنوان " الفلسفة ومتطلبات الواقع عند عبد الله شريط " ربما نجد تفصيلا لهذه الفكرة عند عبد الله شريط في تحديده لعلاقة المثقف بواقعه الاجتماعي والسياسي، وانطلاقا من تشخيصه لهذا الوضع يجد ان الاختلافات الإيديولوجية، هي التي ساهمت في فصام المثقف العربي عن واقعه، فكل مثقف يتبنى مدرسة غربية كانت او شرقية وينغلق على تلك المدرسة مختزلا بها بقية المدارس الأخرى، في الوقت الذي يجب عليه ان يتبنى قضايا المجتمع ويتفاعل معها.

3/ ملامح مشروعه التربوي في ضوء إيديولوجيا التعريب عند شريط

تعتبر اللغة العربية اللغة الأصلية لشعوب الوطن العربي عامة والجزائر خاصة، وذلك منذ زمن جد بعيد على الأغلب مدة أربعة عشر قرن، كما أن الشعوب العربية قد قدست هذه اللغة باعتبارها لغة القرآن، لهذا فهي لغة العقيدة والدين الاسلامي، ولغة الثقافة والتعاملات اليومية كما أنها أصبحت أحد مقومات الشخصية العربية إضافة إلى ذلك أنه حدث امتزاج بين العروبة والاسلام وأصبحت اللغة العربية تدافع عن الدين الإسلامي، لذلك كان هدف الاستعمار الثقافي وبأدواته المختلفة فصل الانسان عن جزء منه وهو اللغة العربية وطرح بديل عنه متمثلا في الفرنسية الذي مثله التيار التغريبي، وقد تم " تشجيع الباحثين على عقد اللقاءات والمؤتمرات لتبادل الخبرات والكتب وكانت الحكومة الفرنسية تفتح لهم المجال وتشرف عليهم وتغطي نشاطاتهم لأنها هي تدرك أنها المستفيدة في آخر المطاف" (سعد الله. أ، 2011، ص 35)

لقد تعرضت اللغة العربية وخاصة أثناء الاستعمار إلى هجوم شرس وذلك من أجل القضاء عليها نهائيا، وبدأ ذلك بغلق المدارس والزوايا والمساجد التي تعلم بالعربية، حضر اللغة العربية في المجال الرسمي حضرا مطلقا، فلا تقبل الوثائق في الإدارة إلا باللغة الفرنسية. (بن نعمان. أ، 1981، ص 166) حيث أصبحت الشوارع كلها تعبر بلافتات فرنسية أسماء الشوارع والمحلات والأماكن العامة وإشارات المرور، وذلك من أجل دفع الناس إلى تعلم الفرنسية رغما عنهم للتكيف مع هذا الواقع المفروض.

إن تواصل السياسة الاستعمارية في محاولة القضاء على اللغة العربية قابله في الطرف الآخر صمود قوي تمثل في أن هذه اللغة العربية هي جد متمسكة بالعقيدة ولولا ذلك لما بقي منها شيء باعتبار أن شعوب الوطن العربي عامة والجزائر خاصة هم جد متمسكين بدينهم وعقيدتهم إضافة إلى ممارستهم لواجباتهم الدينية جعل اللغة العربية محفوظة من الزوال كذلك قد حاول بعض

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

المستشرقين محو اللغة العربية عن طريق تكريس اللغة الدرجة التي هي موجودة خاصة في المجتمعات العربية وأخص هنا الجزائر، وذلك من أجل إبعاد اللغة الفصحى وكذا فصل الشعوب العربية عن بعضها، وانفصال المغرب العربي عن المشرق العربي أكبر مثال على ذلك وهذا من أجل محاربة التعريب، كذلك عمد دعاة التغريب إلى إحياء الثقافات المعادية للغة العربية كإحياء الثقافات الغربية (تقليدهم ثقافيا)، وبناء الأضرحة وذلك من أجل تشتيت عقيدة المسلمين، لكن رغم ذلك لا يمكنه هذا التاريخ القديم أو إحياء هذه الثقافات المعادية للغة العربية أن تقضي على أربعة عشر قرن من التاريخ والحضارة العربية الاسلامية، فقد كشف " أبو القاسم سعد الله الجانب الخفي من التاريخ الثقافي وإبراز مساهمة الجزائر في الثقافة العربية الاسلامية والإنسانية عبر العصور ففيها تابع سعد الله مسيرة التطور الثقافي في الجزائر على طول فترة 1500 إلى غاية 1962 عمل خلالها على جمع الانتاج الثقافي حتى لا يتلاشى ودعا من خلالها إلى تنشيط الساحة الثقافية وصيانة الذاكرة الاجتماعية للمجتمع الجزائري لصد الفراغ أمام إنتاج المدرسة الاستعمارية وردا على ما كانت تبثه من ادعاءات طيلة فترة الاحتلال بأنه لم يكن لأهلها ماضي سياسي ولا ثقافي" (سعد الله. أ، 2011، ص 13)

أ/ ضرورة التعريب وملامحه

لقد حدد المفكر شريط أن المشكلة التي أصبحت موجودة في الجامعة والتي لم تصبح جامعة جزائرية قومية وإنما هي جامعة أجنبية في قرارتها ومواد دراستها، هذا الوضع جعلنا لا زلنا في القرون الوسطى فانقطعنا عن الماضي والحاضر في الوقت نفسه، وعجزنا عن تأدية رسالتنا نحو الوطن وتاريخنا بصفة عامة، أما من الناحية التربوية فإنه همشنا وضع طلبتنا من خلال أننا لم نعد نفيدهم ببضاعة علمية أو ثقافية واضحة وبسيطة تتماشى مع إمكانياتهم الذهنية التي لم تتهيأ في وسط عائلي أو اجتماعي بل على الطريقة الفرنسية لهذا شريط يقسم الطبقة المثقفة إلى قسمين قسم طلب العلم من غيره فناله إلا أن الآخر أو الغير طبعه بطبعه، وهذه الفئة أهملت لغتها الأصلية وهي اللغة العربية واكتفت باستهلاك لغة الأجانب، وقسم آخر طلب العلم وناله ولم يحسن التصرف فيه لنفع مجتمعه ووسطه، فهذا القسم أخذ لغته الأم وهي اللغة العربية، ولم يعمل على التصرف فيها واكتفى باستهلاك ما خلفه الأجداد حوله من العلوم، لكن رغم ذلك إلا أن هذان القسمان لا يحلان أزمة الثقافة والوعي لدى الشعب، لأن المجتمع لا يستطيع أن يحيا بلغة أو ثقافة أجنبية عنه كما أنه لا يستطيع أن يحيا بلغة تجمدت قواعدها.

يقول شريط " .. أخذنا العربية عظيمة غنية مستعدة للتفجر عن إبداعات مدهشة فقيدناها بالقواعد الجزئية الضيقة، ففقدت عظمتها التطورية..." (شريط. ع،1981، ص 20)، من خلال هذا القول فإن الدكتور يبحث عن مخرج يخلص اللغة العربية من ذلك الجمود إلى الحيوية والنشاط لهذا يدعو المثقف الجزائري خاصة المعلم إلى التفاعل الإيجابي بينه وبين متعلميه حتى تنمو ملكات التلاميذ من

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

خلال ربط الدرس بالتطبيقات والشواهد والأمثلة، وكذا ربط المعرفة بالعمل، حتى يتسنى لهؤلاء الشباب أن يخدموا شعبهم وذلك من خلال حرصهم على التعريب والإحساس بمشكلات شعبهم وتطلعاتهم.

ضرورة التعريب في الجزائر فهو أساس التطور، فالتدمير الذي لحق اللغة العربية من طرف الاستعمار الفرنسي وإفراغها من محتواها وجعلها ميتة وعاجزة في مدارسنا وثقافتنا، هو ما عثر المسيرة الفكرية والتنموية، " لأن مسألة تبني لغة أجنبية ... ولكنه لن يغير أعماقنا أو يحقق للشعب ما يصبو إليه من تطور "(شريط. ع، د س، ص 51)، فشريط يدعو إلى إحياء اللغة فحياة الفكر مرتبط بها وحياة الفكر تعني الحرية فالتعريب هو جزء لا يتجزأ من الثقافة الوطنية، إلا أن الدكتور يدعو إلى الممارسة لا القول فقط فهذا أحد معوقات تطبيق العربية كون أن الارتقاء باللغة مهمة نبيلة يضطلع إليها كل متعلم متحمس لخدمة لغته فتطويرها مرهون بتنظيم الأنفس على شكل وحدات أو تشكيلات تكون بمثابة النفس الجديد لها ويبث فينا دما جديدا في كياننا اللغوي.

فهو يعتبر أن حياة اللغة تعني حياة الفكر، وحياة الفكر تعني الحرية، وهناك من ينظر للتعريب نظرة تقديسية كونه يعتبر جزء لا يتجزأ من الثقافة الوطنية، غير أنهم يجهلون أثره على الطفل والمدرسة، باعتبار أن تبني فكرة التعريب دون العمل بها قد يجعل من الذين يدافعون عنه، هم أنفسهم من يضرون به على المستوى النظري والعملي، وهنا نجد توافق في وجهات النظر بين الدكتور عبد الله شريط ومصطفى الأشرف لأن الدعوى إلى القول دون التجسيد الفعلي هو من الصعوبات التي تواجه تطبيق العربية والاشتراكية، وهنا نجد المفكر شريط يستند إلى الإيديولوجية الاشتراكية في تحليل واقع المنظومة التربوية في الجزائر.

ب/ مشروع شريط التربوي ويوتوبيا القومية العربية

إنه من الضرورة الاهتمام بالثورة الثقافية - التي يربطها بالأنظمة الاشتراكية فشريط من الذين اتخذوا من الاشتراكية مذهبا لهذا فمفهوم الثورة الثقافية لا يخرج عن المفهوم الشائع في الفكر الاشتراكي الذي يدل على الانقلاب والتغير الجذري في الثقافة - في تشكيل العقلانية الجزائرية فهو يرى أن المجتمع الجزائري قادة ثورة تحرر من الاستعمار الفرنسي، ليخوض معركة أخرى متمثلة في البناء والتشييد وتحقيق التنمية الشاملة في مختلف المجالات الاقتصادية والثقافية وحتى التربوية وهنا يظهر البعد الإيديولوجي لديه لهذا يقول " .. كان المجهود الإيديولوجي في الثورة الثقافية أهم من مجالات البناء السياسي "(شريط. ع،1981، ص 112) ويؤكد شريط أن المعركة التغيرية التي مست مختلف المجالات أحيانا تكون شكلية لا واقعية، فالمفارقة التي نقف أمامها بين الثورة المسلحة والثورة الثقافية في مرحلة البناء تؤكد مدى افتقارنا لمرجعية فكرية، نستمد منها معقوليتنا بحكم أن انعدام الجانب الفكري سيجعل كل أعمالنا وسلوكياتنا تميل إلى العفوية والارتجالية وهذا لا ينتج مشروعا حضاريا يساهم في التقدم اقتصاديا وثقافيا، وهذا مرهون بوجود مثقفين ثوريون يبدعون ثورة ثقافية ويدفعون المجتمع إلى التغير والتجديد.

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

يعتبر المفكر شريط أنه لا معنى للثقافة في انفصالها عن التربية والتوجيه داخل المجتمع وهنا يؤكد المفكر شريط بأن الثقافة الجزائرية ثقافة منفعلة وليست فاعلة، باعتبار أن المجتمع الجزائري تسوده ثقافة غير حركية ولا منتجة الأمر الذي دفع الأستاذ شريط إلى نقدها وتقويمها لهذا فهو يقوم بتوضيح العوائق التي تعرقل نمو وحركة المجتمع وحتى المنظومة التربوية وتمنعه من التقدم والتطور ومنها:

1/ عائق الركود:

يؤكد المفكر شريط بأن النهضة الثقافة والتربوية لن يكون لها وجود إلا بالعودة إلى الاهتمام باللغة العربية، باعتبارها أنها الرافد الحقيقي لثقافتنا، ومنها تنتقل خبرة الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة، وبالتالي " فإن قضية التعريب هي قضية حضارة وفكر ومن ثمة فهي قضية وجود أو لا وجود "(شريط. ع، 1981، ص 20)، لقد كان المفكر شريط من بين المدافعين عن اللغة العربية وفي وجه المتربصين بها.

ويصف المفكر شريط المناهج التربوية بالجمود في تعليم اللغة العربية، خاصة إذا ما قارناها بمناهج تعليم اللغات الأجنبية، وهو يعتبر هذه الأخيرة في عيون المتعلمين جذابة، على العكس من ذلك أصبحت اللغة العربية – رغم جمالها – غير مرغوبة لديهم.

2/ عائق متعلق بالذهنيات (المشكلة الذهنية)

تبرز هذه المشكلة خاصة في الجامعة، التي لم تصبح جامعة جزائرية قومية إنها لازالت جامعة أجنبية في روحها وقوانينها ومواد دراستها، وتتمثل هذه المشكلة تربويا في أننا لا نراعي وضع طلبتنا الذين لم يعودوا فرنسيين كما كانوا خلال الفترة الاستعمارية، وإنما أصبحوا من أبناء الشعب الجزائري المتخلف، وأصبح المثقف متشبثا بالمثل الأعلى الفرنسي، إلى درجة أصبح يفضل العيش في عالم من الذهنيات لمجرد أنه مرتبط بالواقع الفرنسي البعيد أكثر من ارتباطه بالواقع الجزائر، يقول شريط " ومن ثمة كانت مشكلة معقدة متشعبة وذات عروق بعيدة في أغوار التاريخ "(شريط. ع، 1981، ص 81)

وقد أشار إلى ذلك الدكتور عليوان أسعيد في مقال ألقاه بجامعة الأمير عبد القادر المعنون بفلسفة التربية عند عبد الله شريط يوضح فيه تخبط المنظومة التربوية في الجزائر متهما إياه بعدم الاستقرار، موضحا بأنها تتخبط في عدة مشاكل كتسرب الصغار ونزيف العقول وتضارب الآراء فيما يخص محتوى التعليم، معتبرا أن المنظومة التربوية في أزمة وذلك بسبب:

- غياب فلسفة اجتماعية تبنى عليها فلسفة تربوية واقعية ومتماسكة.
- تقليد الغرب دون نقد أو تمحيص أي أننا نستورد نظما تربوية منزوعة من سياقها الاجتماعي.
- ندرة جهود التنظير التربوي الجاد حتى وإن وجد يطغى عليه المنهج على حساب المحتوى.
- عدم تجدد طرق التلقين أساليب التحصيل.
- الصراع الإيديولوجي وفشل عملية التنمية. (نبيل ، 2001، ص 295)

وقد طرح المفكر عبد الله شريط عدة حلول لعلاج الداء الذي أصاب الثقافة التربوية في الجزائر منها:

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

- التطور الحقيقي في الجزائر مرهون بالتعريب، مع السعي وراء تطوير اللغة العربية وبعث الحيوية فيها من جديد.
- المطالبة بالحقوق دون أداء الواجبات هو ضرب من الأمية وهنا يشير إلى أمية المثقفين الذين يخضعون في تفكيرهم لعقلية متوارثة، لذلك فهو يطالب - تخلي أبناء العربية عن المطالب النقابية والإجراءات الإدارية.
- لابد في التعليم الابتدائي من الابتعاد عن المجردات بل لا بد من ربط الكلمات التي يتعلمها الطفل بالواقع الحسي، وهنا يتفق شريط مع العالم السويسري جان بياجيه.
- ضرورة الاتصال بواقع الأمة بالنسبة للطلبة والإطارات التي تدافع عن التعريب.
- لابد على وسائل الإعلام أن تتجه نحو التثقيف، ومحو الأمية المستفحلة خاصة لدى كبار السن، وهو يعتب أن هذه الشريحة مهمة.

كم أشار إلى ذلك الدكتور عليوان أسعيد في نفس المقال إلى أنه لابد من وضع أسس فلسفية تربوية حتى تتحقق منظومة تربوية ناجحة وذلك من خلال ربط التربية بالحياة الاجتماعية وذلك باعتبار أن المجتمع شبكة من العلاقات، حيث يوجد به الجانب السياسي والحضاري والديني والثقافي والاجتماعي، والتربية هي التي يجب أن تصاغ منها كل هذه الجوانب، إذ عليها يتوقف مصير المجتمع والدولة ومصير التعليم يتوقف على حوية المجتمع وازدهار حياته وتبصر الدولة وعنايتها بشؤونه.

لهذا فمفكرنا شريط استلهم هذه الأفكار من تراثنا الأصيل مستحضرا الفكر الخلدوني ومستعينا كذلك بالفكر الشرقي الأسيوي وكذا الفكر الغربي على السواء، فشريط استحضر ابن خلدون من مقدمته الشهير ودراسته لها المعمقة وأخذ منها المنهج الاستنباطي والاستقرائي، وأما فيما يتعلق بالفكر الشرقي فقد استند إلى كوفينيوش حيث بين أثر التعليم في محو الطبقية في المجتمع مما يؤدي إلى استقرار المجتمع وتماسكه. (عبد الله ش.، 1975، ص 646)، أما فيما يتعلق بالفكر الغربي فقد استحضر أرسطو من القدماء وجون ديوي من المحدثين ففيما يخص أرسطو فقد بين أهمية التربية في استقرار الدولة والانسجام بين الطبقات (عبد الله ش.، 1975، ص 647)، وشريط مال إلى أرسطو على حساب أفلاطون لأن شريط واقعي ولابد للتربية أن تغير من الواقع الاجتماعي بدل التقوقع في عالم المثل، أما جون ديوي فهو كانت ميوله إلى التربية أكثر من الفلسفة فمن خلال قراءة شريط لكتابين مهمين لديوي وهما " المدرسة والمجتمع " و" الديموقراطية والتربية " استنتج أن المدرسة مجتمعا مثاليا مصغرا وهي وسيلة المجتمع لإحداث الإصلاحات المطلوبة، لقد توصل أستاذنا إلى ضرورة ربط التربية بالمجتمع.

إن نجاح المفكر شريط في توظيف هذه الإيديولوجيات في فلسفته لم يكن من باب الصدفة بل كان من خلال قراءة معمقة ودراية بما يجب أن تتوفر فيه هذه الإيديولوجيات ومحاولة تكييفها واستغلال ما يتوافق ومنظومتنا التربوية وثقافة مجتمعنا، فأستاذنا كان محللا وناقدا وواضعا للحلول التي يجب أن تتوفر لتحقيق نهضة أو إن صح التعبير حداثة عربية تراعي الخصوصية المحلية وتستنجد بالأطروحات

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

الأجنبية لكن مع مراعات مدى التوافق والانسجام مع المظومة المحلية، لذلك فشريط حنكته جعلته يقف موقفا يحسد عليه من تشخيص للداء الذي أصاب المنظومة التربوية محاولا بعث الأمل فيها وربطها بالمجتمع الذي لن يعرف التغير إلا إذا كان منطلقه التربية.

رغم أن مشروع يوتوبيا القومية العربية ظل حلما يراود المفكر عبد الله شريط، فلم يجد أرضية خصبة يحقق عليها هذا المشروع التربوي والثقافي الذي يتسم بحداثية التفكير والرؤية والذي يبعث الأمل من جديد في بناء المدرسة الجزائرية، كيف لا هو الذي شخص الداء ووضع الدواء لهذا المنظومة الهشة التي انتابها الركود والخمول مدة قرون من الزمن، ولعل السبب في ذلك هو مخلفات المستدمر الفرنسي الذي لم يكن هدفه الوحيد هو الاستحواذ على خيرات هذه البلاد، بل كان هدفه أبعد من ذلك وهو طمس الهوية والثقافة المحلية واستبدالها بمقومات غربية وغريبة عن المثقف الجزائري لكن الواقع الاجتماعي الذي آل إليه اليوم هو الهجرة التي أصبحت قدرا محتوما على أبناء هذا الوطن أي البحث عن كل السبل التي يجيدون فيها ضالتهم العلمية والمعرفية والمعنوية وحتى المادية، وربما قد يكون السبب إلى غياب الإيديولوجية في المجتمع الجزائري خاصة إن لم نقل المجتمع العربي على وجه العموم، كما أشار إليه الأستاذ النوي حمادي في مقال له نشر على مجلة دراسات المعنون بـ "مشكلة الإيديولوجيا والتمية الاجتماعية في فكر عبد الله شريط"، من خلال اعتباره أن هذا الاختلال ليس طبيعيا بل راجع إلى الافتقار الايديولوجي الذي أثر سلبا على وضع مخططات التنموية في جميع الميادين، وهذه المشكلات تكون حافزا للباحثين الأكاديميين في دوائر الدولة والحزب والجامعة ومراكز البحث والجامعة من أجل حل هذه الاختلالات ودفع عجلة التمية وتفعيل الأنشطة الفكرية والمادية. (النوي، 2012، ص 89)

3- خاتمــة

ما يمكن استخلاصه في هذه الورقة البحثية هو أن المفكر عبد الله شريط استطاع أن يضع لفلسفة التربية والتعليم بعدا إيديولوجيا رغم أن هذا الأخير لم ينبثق من رحم ثقافتنا بل عبر عنه تحت غطاء التصور الإيديولوجي الاشتراكي الماركسي، كونه كان جد متأثر بهذه الفلسفة التي رسم عليها خطاه الفكرية والفلسفية وهنا يصفها بقوله " وكل ما أرجوه هو أن لا يخيب ظني في هذه الماركسية عند دراستها كما لم تخب في سلسلة الأحاديث التي كانت لها كمقدمة مثيرة للأشواق" (شريط. ع، د س، ص 57) ربما هذا يجعلنا نعيب عليه من هذه الجهة كونه لم يتصور بعدا إيديولوجيا نابعا من فلسفتنا وعقيدتنا وتراثنا العريق.

لكن رغم ذلك فقد استطاع بفضل منهجه النقدي الذي أخذه عن العلامة ابن خلدون، ان يشخص الداء الذي أصاب المنظومة التربوية في الجزائر، راسما بذلك طرق التخلص من هذا الداء متميزا بفكره وتصوره وسعة الأفق التي لازمته طيلة مشواره الفكري ومشروعه الحداثي فقد تمسك بوطنية عميقة تستهين بكل الصعوبات في سبيل إصلاح منظومة التربية والتعليم وفي سبيل حرية الجزائر، وهنا يكون قد

ISNN: 2253-0592 EISSN: 2588-199X / Prefix: 10.46315

أعطى مثالا ونموذجا في العبقرية، والانشغال بهموم الوطن والشعب الي دافع عن وجوده واستقلاله، وحمل لواء المعرفة والبناء.

***

المصادروالمراجع

- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج 1، عالم المعرفة (الجزائر)، 2011، ص 35.
- أحمد الفنيش، أصول التربية، ط 2، دار الكتاب الجديد، (بيروت) 1999.
- أحمد بن نعمان، التعريب بين المبدأ والتطبيق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر)، 1981.
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، عالم المعرفة (الجزائر)، 2011.
- عبد الله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 1981.
- عبد الله شريط، المشكلة الإيديولوجية وقضايا التنمية، در البعث للطباعة والنشر (قسنطينة، الجزائر)، 1981.
- عبد الله شريط، معركة المفاهيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر).
- عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت، لبنان).
- عبد الله شريط، من واقع الثقافة الجزائرية، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والإشهار (الجزائر)، 1981.
- عبد الله شريط، نظرية حول سياسة التعليم والتعريب، المؤسسة الوطنية للكتاب (3 شارع زيغود يوسف).
- عبد الله شريط، المنابع الفلسفية في الفكر الاشتراكي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر)، ص 57.
- نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، (عالم المعرفة)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير2001.
- عبد الله شريط، الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، سلسلة الدراسات الكبرى، ط 2، الجزائر، 1975.
- محمد أبو القاسم حاج محمد، العالمية الإسلامية الثانية، جدلية الغيب والإنسان والطبيعة، المجلد الأول، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، (بيروت، لبنان).

مقالات

- روجيه كانس Roger Gans دراسة: من سيتكلم الفرنسية، سنة 2000، جريدة (LE MONDEالفرنسية) العدد 1979/12/5.

- النوي حمادي، مشكلة الإيديولوجيا والتنمية الاجتماعية في فكر عبد الله شريط، مجلة دراسات، بشار، العدد الثاني، ديسمبر 2012.